أنبا أبرآم

صديق الفقراء

١٩٩٣

القمص تادرس يعقوب ملطى

St. Peter and St. Paul Coptic Orthodox Church
1245 4th Street
Santa Monica, California 90401

In the name of
the Father, and the Son, and the Holy Spirit,
one God.
Amen.

First edition: St. Mark's Coptic Orthodox Church, Los Angeles, 1971.

Second edition: St. George's Coptic Orthodox Church, Sporting Alexandria, Egypt, 1974.

Third edition: St. Peter and St. Paul Coptic Orthodox Church, Santa Monica, California, 1993.

رائحة المسيح الذكية

بين يديك أيها الحبيب ليس تجميعًا لروايات وأحداث عن سيرة أبينا الأنبا أبرآم، بقدر ما هى مجرد محاولة للكشف عن الحياة ذاتها التى عاشها فى أعماقه الداخلية.

حقًا ما أشهى للنفس أن تخلع عنها ارتباطات الحياة، لكى تجلس هادئة تستمتع بسير هؤلاء الآباء، وتتذوق حلاوة عمل السيد المسيح فى أولاده، وتشتم رائحته الذكية خلال سلوكهم. لكن فى الحقيقة ما أصعب على الحروف والكلمات أن تكشف عن حقيقة الحياة السرية الخفية كما هى، إذ هى ُتختبر ولا ُيحكى عنها، يتلمسها القلب فى أعماقه بينما يعجز اللسان أن يعبر عنها!

سيرة الأنبا أبرآم هى حياة وشركة مع الرب، فاحت رائحتها فى كل بيت من بيوت مصر، وبلغ اريجها إلى العالم الشرقى، بل وإهتز لها بعض الغربيين وجاءوا ويتلمسونها.

لقد سمع عنها الكاتب الإنجليزى "ليدر Leeder " فأسرع بالسفر إلى مصر مع زوجته يلتقيان مع القديس الشيخ أسقف الفيوم.

ويكفى أن نسجل بعض العبارات التى كتبها هذا الكاتب الإنجليزى بعد مقابلته لأبينا، حيث أعد فصلاً خاصًا عن هذه الزيارة فى كتابه المشهور(١) Modern Sons of the Pharaohs .

قال **الكاتب الإنجليزى:**

"فى مصر رجل تجهله الطبقة الحاكمة، لكن يتحدث عنه الجميع، ويتمتع بأكثر ما يمكن من الإجلال فى كل وادى النيل. وبالرغم من أنه أسقف مسيحى، لكنه فى نظر المسلم كما فى نظر المسيحى هو قديس من السماء.

أما المسيحيون الذين يتجمهرون عنده كل يوم، فهم أقباط ويونانيون ولاتين، هذا بخلاف الذين هم من مصر.

وحتى قبلما أفكر فى طلب مقابلة هذا الشيخ العجيب سمعت كاثوليك فى مناطق بعيدة مثل فرنسا يتحدثون عن أسقف الفيوم والجيزة بوصفه ناسكٍ، فيه تحققت كل العلامات التى نطق بها ربنا أنها تتبع المؤمنين قائلاً: "باسمى يخرجون الشياطين... يضعون الأيدى على المرضى فيشفون".

هذا القديس الشيخ، الذى عرف العالم الشرقى كله قوته، وأدرك أنه الخليفة المباشر لسلسلة المسيحيين الأولين غير المنقطعة.

وحينما توجهت إلى القطر المصرى، سمعت الكثير والكثير عن أسقف الفيوم، فأخبرونى عن القوة الخارقة من إنكار الذات وأصوام، وحكمة روحية، وقدرة على التنبوء، وإخراج الأرواح الشريرة، وشفاء مختلف الأمراض كما سمعت عن العزاء الذى تبعثه كلماته للمتألمين روحيًا وجسديًا. وعن عطفه غير المحدود تجاه الفقراء...".

أما عن أثر مقابلتهما مع الأسقف فكما قالت السيدة حرم المرحوم نصيف محروس: "لقد كنت مع بعض السيدات نرحب بمسز ليدر. وعند خروجها من حضرة القديس خاطبتنا بالفرنسية: "**لقد كنا فى حضرة المسيح وإمتلأنا بروح الله(٢)**".

---

1. S.H. Leeder: Modern Sons of the Pharaohs (Hodder and Staughton, London),1918, p. 265-305.

٢. القمص ميخائيل سعد: القديس الأنبا أبرآم، ١٩٦٥، ص ١٧٢ .

✞ ✞ ✞

صديق الفقراء

من يلتقى بربنا يسوع الذى إفتقر ليغنينا، يئن فى أحشائه الداخلية على الدوام، مشتاقًا أن ينفق وُينفق من أجل كل إنسان، بفرح وسرور، خاصة من أجل المعوزين والمحتاجين والمطرودين.

إنه يود لو استطاع أن يحمل أثقال كل بنى البشر فى طريق الجلجثة مقتفيًا آثار سيده، لكى يتخلى عن كل شئ ويتعرى ويتألم من أجلهم، متغنيًا: "مع المسيح صلبت!"

هكذا اختبر أبونا أنبا إبرأم حياة الشركة العملية مع الرب، فأحب إخوة الرب الأصاغر بصورة أذهلت الكثيرين. أينما حلَّ إلتف حوله الفقراء، يجدون فيه ليس فقط إشباع حاجاتهم المادية والنفسية، بل يلمسون فيه أبوة مملوءة حنانًا!

ففى ليلة عيد القيامة المجيد تقدم إليه تلميذه يخبره أن حنا بك نخلة قد أرسل للمطرانية أصنافًا كثيرة من الطعام ومعه ديك رومى. فتح الأب فاه وبارك المرسِل، وفى إبتسامة عذبة طلب من تلميذه أن ُيحضر الطعام ويعده على المائدة. أسرع التلميذ بتنفيذ أمر أبيه الأسقف، وهنا التفت الأسقف إليه ليستدعى العجزة والعميان والمرضى القاطنين فى الدور الأول من المطرانية، ووقف الأب الأسقف بينهم كأب يطمئن على أولاده حتى أكلوا وشبعوا، أما هو فلم يذق سوى فجلاً وقليلاً من اللبن (الحادق) الخالى من الدسم(١).

إستدعى أبونا الأسقف رئيسة أحد أديرة الراهبات بالقاهرة لتكرِّس حياتها لخدمة الفقراء، وفى أحد الأيام نزل الأسقف من حجرته ليفتقد أولاده المحتاجين وهم يأكلون. وكانت دهشته أن يرى الطعام المُقدم له أفخر مما ُيقدم لهم، فساوره الحزن، وللحال أقال الراهبة من عملها.

وفى احدى ولائم المحبة التى كثيرًا ما كانت المطرانية تقيمها للشعب، أقام الطباخ وليمتين، احداهما من السمك المقلى للأغنياء، والأخرى من السمك المطبوخ. إذ دخل الأنبا أبرآم تطلع إلى الوليمتين، وفى حزمٍ نادى الطباخ وأمره قائلاً: "ضع من الصنفين فى الأطباق... من يأكل فليأكل ما يريد. ليس عند الله أغنياء وفقراء، بل الكل واحد أمامه". وإذ سمع الفقراء هذا الأمر إمتلأوا فرحًا من أجل أبوته الحقيقية، أما الأغنياء فأكلوا بفرح وسرور مبتهجين من أجل سمو أبيهم الروحى ومحبته لأولاده!

دخلت إليه إحدى الفقيرات تشكو له حالها، وإذ مد يده تحت الوسادة كالعادة لم يجد شيئًا، فقدم "شالاً" جديدًا كان قد أهداه إليه أحد أبنائه. وفى اليوم التالى دخل صاحب "الشال" إلى أبينا، وسأله عن "الشال"، فأجابه: "الشال فوق يا ولدى". وهنا أظهره له صاحب الشال، قائلاً له إنه اشتراه من السيدة الفقيرة ليعيده إليه، وهكذا فى حنان تطلع إليه، قائلاً له: "ربما تكون ظلمتها يا ولدى!" أجابه الشخص قائلاً: "لا يا أبى، بل أعطيتها ثمنه بالكامل!"

ويروى لنا مستر ليدر البريطانى عن أبينا الأسقف، قائلاً: "لقد تحدثت عن الفروجية البالية التى كان الأسقف الشيخ يرتديها. لقد كانت من ذلك النوع الذى قال عنه المتوحد القبطى الأب إسحق انه يجب أن تكون "فروجية" الراهب فى حالة بحيث لا يأخذها إنسان إن أُلقيت خارج قلايته ثلاثة أيام...

وقبيل زيارتى له، عزَّ على أحد الأغنياء أن يرى أسقفه يلبس هذه الفروجية البالية، فاشترى له جبة ناعمة سوداء، وصعد بها إلى الحجرة العالية، مترجيًا الأسقف أن يستبدل الفروجية القديمة بالجديدة. فأخذها منه الشيخ بإبتسامة رقيقة ووضعها تحت وسادته وفى نهاية اليوم جاء بين الحشود المتزاحمة فلاح فقير، يرتجف من البرد، يلبس ثوبًا باليًا. فتطلع

إليه قائلاً: "تعال! لقد نظر الرب إليك اليوم، هوذا ثوب ينتظر من يحتاج إليه". وفى نور الصباح تفرسه الفلاح فإذا به غير مناسب لفلاحٍ مثله، فباعه وإشترى "جلبابًا"، بهذا صار له أيضًا مال يشترى به طعامًا. وبالصدفة(٢) كان الرجل الذى ُقدمت له الفروجية لشرائها هو نفسه الذى قدمها هدية، فتعّرف على هديته. إذ كان يعرف الأسقف، أدرك أن أى تعليق لن يجدى، لهذا إشتراها ظنًا منه أنه عندما يراه الأسقف قد فعل هذا ُيحرج فيلبسها. مرة أخرى، ُوضعت الفروجية تحت الوسادة، وعاد فقير لكى يستلمها مرة أخرى، حاسبًا (الأب الأسقف) أن الرب هو الذى أخذها... وليس من شك انه سيبقى مرتديًا الثوب البالى إلى اليوم الذى فيه يستبدله بالثوب البهى الذى لن يبليه زمان!

هنا، فى القرن العشرين، لا تزال الخلافة لأتباع المسيح الأولين حقيقة يحياها أسقف الفيوم، إذ كانوا يتخلون عن كل شئ، منفذين حرفيًا بساطة تعليم رجل الجليل، الذى إذ لم يكن يملك شيئًا إختار تلاميذه من الذين يبيعون كل شئ لكى يتبعوه(٣)".

جاء عنه أيضًا أن أعيان الايبارشية رأوا أن مبانى المطرانية غير لائقة، فإتفقوا مع أبيهم الأسقف على تجديدها وتوسيعها، وكانوا كلما جمعوا مبلغًا من المال يسلمونه له، حتى بلغت حصيلة التبرعات حوالى مائتين جنيهًا، وكان هذا المبلغ فى ذلك الوقت له قيمته.

جاءوا إليه يأخذون موعدًا ليُحضروا المقاول ويتفق معه على شروط البناء، فتطلع إليهم قائلاً: "لقد بنيت يا أولادى! لقد بنيت!"

– أين هو البناء يا أبانا؟ هوذا كل شئ كما هو!

– لقد بنيت لكم مسكنًا فى المظال الأبدية...(٤)!

قال العم مقار إبراهيم البرنشاوى(٥):

"فى وقت لم يكن بالأسقفية سوى جنيه واحد، وحدث أن توجه أحد المواطنين الفقراء إلى قريبه الثرى ع. بك ع. ا، وطلب منه مساعدة "لنفاس" زوجته فإعتذر، فعزَّ عليه ذلك، وأقسم أمامه أنه لابد من قضاء حاجته من أسقف النصارى. وفعلاً توجه إلى الأنبا أبرآم وقص عليه ما جرى. فقال له: "وهل الأسقف للنصارى فقط؟!... أليس للجميع؟!" ثم بحث تحت " الكليم"، وسلمه الجنيه الوحيد الذى عنده، وكان له قيمة كبيرة فى ذلك الوقت، يساوى عشرين جنيهًا الآن".

ولما خرج قابله القمص ميخائيل الراهب(٦) واندهش كيف أن أخاه الأسقف أعطاه كل ما عنده. فأخذه منه وسلمه ريالاً. ولما عاد المواطن وشكا للأسقف، استدعى القمص وأخذ منه الجنيه وأعطاه للمواطن علاوة على الريال وصرفه، ثم قال لأخيه: "لما خرجنا من منزل أبينا المرحوم غبريال، ماذا كنا نملك؟ أليس كل هذا من خير المسيح ولإخوة المسيح؟!"... ثم صرفه بغضب.

بعد ثلاثة أيام عاد إليه بصحبة العم منقريوس وطلب أن يسامحه. وفى هذا الوقت وصل البريد وبه حوالة وبوليصة بخيرات كثيرة... فدعاه وقال له أنظر. فإنحنى أمامه بإتضاع وقال "هو أنا زيك؟... إنت ربنا أعطاك موهبة العطاء".

يروى القس ميخائيل استراس كاهن كنيسة مارجرجس بالفيوم(٧):

"إن أحد الأعيان زار الأب الأسقف وقدم له مظروفًا به نذر فأخذه ووضعه تحت الوسادة، ولما خرج دخل مسكين وطلب صدقة... فسلمه المظروف... ولما فتحه وجد به عشرة جنيهات... فلاحظ تلميذه ذلك ودخل مسرعًا وأخبر الأسقف، فقال الأسقف: "هذا رزقه لأن الله إذ يعلم إحتياجه لهذا المبلغ سبق وأرسل من يقدم هذه العطية".

يروى لنا معاصروه أن أعدادًا بلا حصر كانت تفد إلى الفيوم تحمل هدايا وتقدمات، هذا وكان الأغنياء يبذلون ما فى وسعهم لاغناء هذا القديس وكانت الحوالات والبوالص المشحونة تُترسل إليه كل يوم... ومع هذا لم يكن يتطلع فى قيمة أية عطية بل كل ما يصل من ذهب أو مال يضعه تحت الوسادة، ومن يسأله يمد يده ويعطيه دون أن يرى قيمة ما فى يده.

قيل إن فى أيامه لم يكن هناك محتاج واحد بالفيوم، إذ كان يجد الكل فى المطرانية بيته الذى يأخذ منه كل إحتياجه.

ومن الروايات المتداولة بين معاصرى القديس أن ثلاثة شبان أرادوا استغلال محبة الأسقف للفقراء، فدخل إثنان منهم يدعيان أن ثالثهم قد مات وليس لهم ما يكفنانه به. سألهم الأب الأسقف: هو مات؟! فأجابوا: "نعم مات". هزَّ الأسقف رأسه، ومدَّ يده بالعطية قائلاً: "خذوا كفنوه به". وخرج الإثنان يضحكان، لكن سرعان ما تحوَّل ضحكهما إلى بكاءٍ عندما نظرا ثالثهما قد مات فعلاً. وحاول الإثنان أن يردا المال طالبين العفو، فسامحهما الأسقف لكن لم يقبل أن يسترد المال قائلاً لهما أن يكفنا به صديقهما.

أخيرًا نذكر أيضًا ما قاله عنه أبونا عبد المسيح البراموسى الصغير الذى عاش معه فترة من الزمان، إنه عندما كان يدخل قرية من قرى إيبارشيته، يسأل عن فقرائها قبل كل شىء.

---

١. مكتبة المحبة: المطوب الذكر أنبا أبرآم.
كامل صالح نخلة: تاريخ الأمة القبطية، ١٩٢١ .
القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ١٩٢٤، ص ٧٠٧ .
القمص عبد المسيح المسعودى الصغير: الأنبا أبرآم.

٢. لم تكن بالصدفة بل بتدبير إلهى.

3. S.H. Leeder: Modern Sons of the Pharaohs (Hodder and Staughton, London),1918, p. 283.

٤. مكتبة المحبة: الأنبا أبرآم.

٥. فى حديثه مع القمص ميخائيل سعد (القديس الأنبا أبرآم). كان مع المرحوم والده وابن عمه جرجس منقريوس البرنشاوى يلازمون القديس الأنبا أبرآم ولا يتركونه إلا للعمل الضرورى.

٦. أخ القديس من والده.

٧. القمص ميخائيل سعد: القديس الأنبا أبرآم، ١٩٦٥، ص ١٧٢ .

رجل صلاة

سر عظمة أبينا الأنبا أبرآم أنه رجل صلاة.

والصلاة فى كنيستنا ليست روتينًا مملاً، ولا فرضًا سقيمًا نلتزم به، بل هى تذوّق لبنوتنا لله، وممارسة للشركة معه؛ هى حب! تارة فى مخافة نعلن ندمنا، وأخرى بفرح نشكره، نحدثه باسم الكنيسة كلها، فلا يصلى أحدنا عن نفسه وحده بل عن الجميع. نتحدث معه بالمزامير والتسابيح والصلوات الكنسية والصلوات الشخصية، تارة باللسان وأخرى بالصمت.

هكذا كرَّس أبونا حياته للصلاة، إذ عشق ربنا يسوع إلهه، فإمتلأ قوة. فكان يجمع شعبه كل عشية فى دار الأسقفية يصلون معه صلوات (تسابيح) الساعة التاسعة والغروب والنوم، ويختمها بتحليل الكهنة، ويقرأ لهم من الكتاب المقدس ويفسره لهم.

ذكر كثيرون ممن جاءوا إلى الحجرة المجاورة لحجرته أنه كان يقوم فى نصف الليل يصلى حتى الفجر بالمزامير، وكان يقف عند القول: "قلبًا نقيًا أخلقه فىّ يا الله، وروحًا مستقيمًا جدده فى أحشائى"، مرددًا إياها مرارًا بإبتهالات حارة. هذا وقد شهد الجميع أن صلاته كانت بروح وعزيمة قوية حتى فى شيخوخته.

قال عنه الكاتب الإنجليزى ليدر:

"تفرست فى وجه هذا "القديس" الحديث بإنفعال عميق، فإذا به يستحيل على الإنسان أن يتطرق إليه أدنى شك فى تلقيبه هكذا، وذلك من أجل قوة نقاء نفسه وجمالها التى غمرتنى فى الحال بقوة إبتلعتنى.

فالعينان تسطعان فى هدوء، والوجه المهوب حوله لحية قصيرة بيضاء لا تُخفى فمه. وقد زاح عمامته إلى خلف عن المعتاد، فبدت جبهته العريضة التى تؤكد أن النسك لديه يحكمه ذكاء وقاد... وأخذ بيمينه الصليب ورفعه ملاصقًا لرأسينا (أنا وزوجتى) ونطق بصلوات كنيسته العجيبة وبركاتها فى نشوة وحرارة، وأغلبها باللغة القبطية.

وبالرغم من أننى بالطبع لم أفهم شيئًا مما نطق به إلا كلمة "كيرياليسون" أى "يارب إرحم" التى تكررت مرارًا لكن إنتابتنى هزة عنيفة بسبب غيرة من نطق بها وحرارته.

ففى حياتى لم اسمع قط صلاة كهذه، إذ أحسست بالصلة مع عرش النعمة التى تملأ الإنسان إستقرارًا دائمًا. **لقد بدا لى أن الأرض تلاشت تمامًا لكى تترك هذا الرجل فى حضرة الله نفسه يتحدث مع الله بجلاء**".

ذكر المرحوم نجيب بك عريان ان بعض المؤمنين رأوا شعاعًا من نور يخرج من نافذة حجرته أثناء صلاته.

جاء عنه أنه فى سنة ١٨٩٨ مساء يوم أربعاء إذ كانوا يصلون إنقرض "حبل الفانوس"، فسقط "الفانوس" على الأرض وإنسكب الجاز واشتعلت النيران، أما هو فلم يتحرك قط حتى نهاية الصلاة، حيث قال للواقفين للصلاة معه الذين خافوا: "أنظروا فإن النيران قد أُطفئت ولم يُصب أحد منكم بشئ!"

إيمانه

فى سنة ١٩٠٢ بينما كان أبونا الأسقف يجول فى القطر المصرى مع تلميذه الأنبا متاؤوس مطران الحبشة دعاهم أديب بك وهبى بمدينة أبى قرقاص، ولم يكن له ولد إذ مات ابنه وله ثلاث بنات، فدعا القديس سرًا وقال له: "ليس لى ولد يرث اسمى، وقد سمعت عنك أنك رجل الله، وإن صلاتك مقبولة لديه، فصلِ لأجلى لكى يهبنى الرب ولدًا". لبى طلبه ودخل كلاهما غرفة النوم وهناك صلى القديس على ماء ورش البيت، ثم رشم قرينته بالزيت، وقال لها: "إن شاء الله فى مثل هذا العام يكون لكما ولد" ، ثم باركهما ودعا لهما، وأشار إلى قطعة أرض فضاء، وقال لأديب بك: لمن هذه؟

– إنها ملك لى.

– إعملها مضيفة للفقراء.

وقد تحقق ذلك إذ رُزق أديب بك بالابن "وهبى أديب".

تكرر نفس الشئ مع المرحوم جوهر عطية واعظ أقباط طنطا سابقًا حيث وهبه الله الابن يوسف.

بل ونسمع عن كثيرين جاءوا للأنبا أبرآم يطلبون صلواته لكى يهبهم الله أولادًا أو يحافظ لهم على أولادهم.

إننا لا نبالغ إن قلنا ان مئات بل ألوف المعجزات تمت على يدى هذا القديس وبصلواته، لا يسع المجال لذكرها(١).

جاءه المقدس يواقيم من القاهرة بعد ما أعياه التعب مع الأطباء إذ كان مصابًا بعقد لسانه، وفى المساء حيث اجتمع الشعب كعادته للصلاة وبدأوا يصلون "كيرياليسون" نطق لسان المريض.

حار الأطباء فى مرض فهمى القمص عبد المسيح ابن كاهن كنيسة سنورس إذ كان مصابًا بصرعٍ، لكن الأب دهنه بزيت وصلى عليه فشُفى فى الحال.

ذكر أيضًا أبونا عبد المسيح البراموسى الصغير أنه رأى كثيرين يأتون إليه فى فترة الأسبوع التى قضاها مع الأب الأسقف، منهم إمرأة من قرية "بلوط" المجاورة لمنفلوط فى مديرية أسيوط كانت مريضة منذ زمن طويل وأنفقت كل معيشتها على الأطباء ولم ُتشفَ. صلى عليها ثلاثة أيام بعدها عادت صحيحة إلى القرية تمجد الله وتشكر الأنبا أبرآم.

وذكر العم عياد أبادير أنه فى سنى ١٩١٢ عندما ُنقل إلى الفيوم رأى بعينه شابًا مريضًا جدًا أدخلوه إلى الأب الأسقف الذى رشمه بعلامة الصليب وصلى عليه فُشفى.

وعندما غشت عينى المهندس ع . ى. بسوهاج سحابة بيضاء، ذهب به والده إلى القديس الذى طلب منه "قطرة السبع بنات" فصلى عليها وقطر له منها فى عينيه وللحال انقشعت السحابة.

وذكر الأستاذ محمد بدر الدين سكرتير النيابة العامة المختلطة بالإسكندرية لزميله الأستاذ لبيب بولس سنة ١٩٢٤ أنه لما مرض ابنه الوحيد وتعب فعلاجه أرسل للأنبا أبرآم خطابًا، فجاءه الرد أن يطمئن، وفعلاً ُشفى الصبى.

هكذا يروى لنا كثيرون عن إستجابة صلاة القديس فى شفاء مرضاهم.

إلى يومنا هذا نشعر بفاعلية صلواته عنا، فقد أُصيب ابن كاهن منزلة دميان التابعة لإيبارشية المنيا بكساحٍ، فزار مقبرة القديس، وفى الصباح رأى إنسانًا يقترب منه، صلى له ودهن ساقيه بزيت، فقام معافى.

---

١. القمص ميخائيل سعد: القديس الأنبا أبرآم، ١٩٦٥، ص ١١٩ .

مكتبة المحبة: الأنبا أبرآم.

S.H. Leeder: Modern Sons of the Pharaohs (Hodder and Staughton, London),1918, p. 283.

✞ ✞ ✞

تقشفه

"أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضًا" ١ كو ٩:٢٧.

بقدر ما ُيفرغ قلب الإنسان من محبة الزمنيات يتهيأ بالحق للإمتلاء بالسمويات، وبقدر ما يشبع القلب من السمويات لا يعود يشتهى أمرًا زمنيًا.

هكذا جاهد أبونا رافضًا كل شئ لكى يقتنى ربنا يسوع كمشبعٍ لنفسه. فطعامه الرئيسى هو "الفول والعدس"، وفى أيام الفطر يأكل الجبن "القريش" مع خيار أخضر كبير بلبنٍ بلا دسمٍ.

فى أحد الأيام اشتاق أن يأكل "حمامًا"، فطلب من تلميذه أن يطبخ له ذلك. فلما طبخه قدمه له. صلى الأب وطلب منه أن يحضره له فى اليوم التالى. وتكرر الأمر فى اليوم الثانى والثالث والرابع دون أن يأكل منه شيئًا، حتى فسد الطعام. عندئذ قال لنفسه: "كلى يا نفسى مما إشتهيتِ!"

ومن الطريف أن نفس الأمر صنعه تلميذه المتنيح الأنبا مرقس مطران إسنا.

✞ ✞ ✞

الأسقف المتواضع

إذ أحب رجل الله ربنا يسوع، دخل معه فى شركة، أساسها السير فى طريق الجلجثة داخل دائرة الصليب، فيه أخلى نفسه عن كل شىء، مشتاقًا أن يكون مرذولاً وُمهانًا من الناس لأجل المجد الأسمى! عاش بين أولاده، الفقراء والأغنياء، كأب وأخ وصديق بغير تعالٍ أو كبرياء.

لقد أحسَ مستر ليدر البريطانى بذلك عند مقابلته لأبينا الطوباوى، إذ قال عنه إنه كان على الدوام يضع يديه داخل أكمام فروجيته الواسعة، لعله بهذا لا يسمح لأحد أن يقّبل يده. كما قال أيضًا: "إننى أظن أن العادة فى كل كنيسة مسيحية أن يركع الإنسان ليتقبل بركة الأسقف. لكن لم يكن الأنبا أبرآم **يقبل بأى شكل من الأشكال أن يركع أحد قدامه، إذ كان يقول أنه يليق تقديم هذا الخضوع لله وحده. لقد تضايق عندما ألزمته بِرِكوعى قدامه، لكن عندما كشفت له أن تكريمى الأول هو لله ولخادم الله بعد ذلك، فى وداعة تغاضى عن الأمر".**

ومن عاداته الجميلة أنه ما كان يسمح لأحد من الآباء الكهنة أو أولاده الشمامسة أن يحمل له الكتاب المقدس، بل هو يذهب بنفسه إلى المنجلية ويقرأه كأى كاهن. ولم يكن يسمح لأحد من الشمامسة أن يتلو عبارات التبجيل الخاصة بالأسقف عند قراءته للإنجيل. كما لم يكن يميز نفسه عن شعبه، فلم يجلس فى الكنيسة على كرسى خاص، بل على كرسى عادى كسائر أولاده. أما فى الهيكل فكان يقف على الدوام، وفى شيخوخته كان يجلس على السجادة عندما يأخذه التعب. وكان يرفض أن يبخر الكهنة قدامه...

هذا وكان ُيسر بدعوة أولاده له: "أبونا الأسقف" ولا يسمح لأحد أن يدعوه "سيدنا الأسقف". وعندما أراد البابا كيرلس الخامس أن يرقيه مطرانًا رفض مكتفيًا بنعمة الأسقفية. هذا ولم يغيِّر الأسقف صليبه بعد رسامته أسقفًا بل إستمر يستخدم نفس الصليب الذى كان يستعمله وهو كاهن.

ونستطيع أن نتلمس وداعة هذا الأب مما يرويه عنه أهل الفيوم: فى صباح يوم أحدٍ لاحظ أبونا الأسقف عدم انسجام أصوات الشمامسة معًا، فلفت نظر المعلم "يعقوب الكبير" إلى ذلك. وفى صلاة الغروب اليومية لم يحضر المعلم كعادته، فسأل الأسقف عنه، أجابوه أنه قد تأثر بسبب استلفات نظره. وبعد الصلاة خرج الأسقف فى الحال إلى منزل المعلم يعقوب لإسترضائه ومصافحته. وإذ فوجئ المعلم بذلك بكى قائلاً: "إصفح عنى أنت يا سيدى". ورجع الأسقف إلى دار المطرانية ليلاً، مع أنه لم يكن يخرج فى مثل هذا الميعاد قط.

ولما ذاع صيت الأنبا أبرآم **ما كان يقدر أن يترك اولاده ويدخل البرية هربًا من المجد الباطل، لكنه كان يمتنع عن مقابلة الزائرين الوافدين إليه لمجرد تكريمه. هذا ما شهد به الكاتب البريطانى إذ قال: "لم يكن هذا الشيخ يحب فكرة**

مقابلة الوافدين إليه بقصد التكريم، فإن هذا يتنافى مع عمل سيده. فلو أن هذا الإنجليزى (يتحدث عن نفسه) فقيرًا كان أو مريضًا أو محتاجًا إلى أية خدمة روحية أو إرشاد فإنه يتمكن من مقابلته وإلا فلا".

وعندما زار البرنس سرجيوس وزوجته "عم نقولا قيصر روسيا" مصر فى سنة ١٨٩٨ وسمعا عن القديس توجها لزيارته، فإهتمت الدولة واستقبلته إستقبالا رسميًا، وحاول أعيان الأقباط أن يشتروا أثاثًا جديدًا للمطرانية، لكن الأسقف رفض نهائيًا. جاء الزائران وركعا على الأرض والأب جالس يصلى لهما بحرارة، ثم قدما له كيسًا به كمية من الجنيهات الذهبية، أما هو فإعتذر وأخيرًا أخذ جنيهًا واحدًا أعطاه لتلميذه رزق.

خرج الأمير من حضرته يقول انه لم يشعر برهبة فى حياته مثلما شعر بها عندما وقف أمام القديس العظيم الأنبا أبرآم.

✞ ✞ ✞

مفصلاً كلمة الحق بإستقامة

يقول عنه الأنبا إيسيذورس(١) إنه كان عالمًا فى دراسة الكتاب وقد حفظ نصوصها عن ظهر قلب.

قال بعض الرهبان إنه كان يطالع الكتاب كل أربعين يومًا مرة.

وقد جاء عنه إنه كان يجمع الشعب كل مساء للصلاة، ويكلف أحد القارئين أن يتلو فصولاً كثيرة من الكتاب المقدس، وهو يفسرها لهم.

قيل عنه إنه ما ُسمع قط يتحدث فى الأمور العالمية، بل كان دائم الحديث عن الأبديات والروحيات. وكان يشجع الآباء الكهنة والوعاظ على الوعظ، فكان يحضر بنفسه اجتماعات الوعظ... وكثيرًا ما كان يبدى ملاحظاته للوعاظ متى لمسوا العقيدة أو الطقس.

كانت حياته نفسها عظة معبرة للكل. ففى أيامه إلتف الكل حول السيد المسيح فى الكنيسة ولم يتجاسر أحد أن يخطف ابنًا من أبناء الكنيسة.

فى سنة ١٩٠٨ حينما حاول البعض أن ينشر بعض البدع فى منطقة الفيوم كتب الأب رسالة إنجيلية قوية ووجهها للشعب، لكى لا ينحرفوا يمينًا أو يسارًا عن الإيمان الأرثوذكسى المستقيم.

حدث أيضًا ان شابًا غير مسيحى أغوى فتاة مسيحية فإنقادت إليه، وأرادت أن تبيع مسيحها ثمنًا للزواج منه. وإذ أخطرت السلطات الحكومية المطرانية لم يرسل إليها كاهنًا، بل ذهب بنفسه إلى مديرية الأمن، والتقى مع الفتاة. حاول إقناعها فلم تقبل. عندئذٍ احتدت نفسه فيه وقال لها: "أنتِ لا تقصدين الدين بل الشاب لأن أغراضك شريرة فاسدة. إذهبى الله يعرف ُشغله فيك". وما بارحت المكان قليلاً حتى سقطت ُمغمى عليها، فظنوا أنها ماتت. أسرع رجال الشرطة إليها ظنًّا أن فى الأمر جريمة... لكن القديس فى شجاعة توجه إليها وصلى على ماء ورشه عليها. فقامت فى الحال وهى تقول: "أنا شفت بعينيّ"... ثم عدلت عن طلبها ورفضت الزواج نهائيًّا، وعاشت فى حياة الفضيلة والطهارة.

تكرر الأمر مع شاب مسيحى أراد ان يترك ديانته من أجل إغراء مادى، وإذ كرر الأب الأسقف له النصح لم يقبل، فقال له: "الله يعرف شغله معاك يا ابنى". وفى نفس اليوم مات الشاب.

وتكرر الأمر مع إمرأة شريرة سيئة الأخلاق، أحضروها للأسقف فى المطرانية ليرشدها، ولكنها صممت على إنكارها الإيمان، وإذ خرجت من المطرانية أصيبت ببرصٍ.

١. الأنبا إيسيذورس: الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، ج ٢، جيل ١٩ .

✞ ✞ ✞

حزمه

كل من تلاقى مع أبينا أنبا أبرآم أحسَّ بأبوته وحنانه، لكنه كان يفصل بين الحب والرخاوة، وبين الوداعة والتهاون. فإن كان قد اتسم رجل الله باللطف والوداعة، لكن يقول عنه كامل صالح نخلة: "ومن صفاته أيضًا أنه كان صريحًا إلى أقصى حدود الصراحة في إبداء رأيه، لا ينظر فيما يقول إلا إلى الحق ذاته".

حدث مرة أن أخطأ كاهن كنيسة المرقسية في أحد المطارنة فانعقد مجلس كنسي لمحاكمته. وُطلب من المطران ان يصفح عن الكاهن فأبى. وإذ وقفوا للصلاة طلب من المطران أن يصلى الصلاة الربانية، فأخذ يتلوها حتى جاء إلى القول، "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا"، فقاطعه القديس قائلاً: "إن كنت تعتقد بصحة ما تصلي به فقم وصافح أخاك وقبّل رأسه وإلاّ فأنت تكذب على الله عندما تتلو صلاتك"، فقام المطران وطلب الصفح[١].

دعاه مرة البابا لكي يحضر المجمع لمحاكمة كاهنٍ أوى في كنيسته أسقفًا محرومًا، وقدم له طعامًا وأباته عنده. وإذ اجتمع المجمع تحت رئاسة البابا وُقرأ الاتهام، أعلن البابا أنه مستحق للقطع، ثم أعطى الحكم لقليني باشا فهمي لكي يوقع هو أيضًا عليه ويعطى المستند لجاره... وكان القديس جالسًا بجوار الباشا، الذي أخذ الورقة وقرأها، ثم قال: "لست أجد علة لقطع هذا الكاهن، وفرزه من الكنيسة، ألم يأمرنا يسوع المسيح أن نترفق بالفقراء ونهتم بالغرباء؟!..." ثم أعلن أنه لن يوقع على المستند. وإذ قال قليني باشا إن البابا هو الذي قرَّر هذا وهو موافق لقانون الكنيسة، أجاب: "لماذا ٌدعيت للمجمع إن كنت لا أصرح برأيي؟!" عندئذ همس أحد الأعضاء في أذنه، قائلاً له: "ألا تعلم أن الذي تحدثه هو قليني باشا فهمي؟" عندئذ أجاب القديس: من هو قليني باشا؟ ألم يتحدث موسى مع الله نفسه؟... أتركني..." عندئذ قام وترك حجرة الاجتماع ونزل إلى الدور الأرضي، وأرسل البابا أحد الأعضاء يسترضيه، فأجابه: "حيّ هو اسم الله! لن أصعد على سلم هذا الدار مرة أخرى كل حياتي إن لم تحضر لي الحكم هنا وأمزقه". وفعلاً خضع له البابا، وسامحوا الكاهن!

✞ ✞ ✞

وطنيته

الأسقف الذى له روح الحب، يحب وطنه أكثر من الجميع... يبث روح الوطنية فى أولاده الروحيين، مهيئًا للمجتمع مواطنين أقوياء، يحبون وطنهم، ويحملون رسالته بقوة وإيمان لا عن خوفٍ أو خنوعٍ!

حقًا ليس للكنيسة أن تتدخل فى الأمور السياسية إذ أوصاها ربها: "إعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" مر١٢:١٤-١٧... لكنها تبث روح الوطنية فى أولادها منذ ميلادهم(١)، إذ تعلمهم الأمانة فى العمل والجهاد، وحياة البذل

[١] القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ١٩٢٤ – الأنبا إبرآم.

من أجل الآخرين، والخضوع للسلطات الزمنية، والصلاة من أجل الرئيس وكل ذوى السلطان، والأمانة فى دفع الجزية أو الضريبة الخ.

جاء عن الأنبا أبرآم أن جاءه البعض يطلبون الإستعفاء من الخدمة العسكرية، فأجابهم انهم إن كانوا يريدون الإستعفاء من خدمة الحكومة فمن الذى يوكل إليه حراسة الأمن؟، ثم صرفهم(٢).

---

١. للمؤلف: الحب الرعوى (الكاهن والوطنية)، ص ٢١٢-٢١٥ .

٢. القس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ١٩٢٤ .

✞ ✞ ✞

موهبة اخراج الشياطين

لم يبخل الله على قلب أبوى إتسع لمحبة الفقراء والأغنياء، المؤمنين وغير المؤمنين، عن أن يهبه عطية اخراج الأرواح الشريرة.

قال الكاتب الإنجليزى ليدر: "سلطان الأسقف فى اخراج الأرواح النجسة جذب إليه كثيرين من أماكن بعيدة أكثر مما فعلته المواهب الأخرى التى إشتهر بها".

وقد روى عنه ابن معلم الكاتدرائية بالقاهرة، وهو شاب قبطى متعلم يجيد الفرنسية والإنجليزية ويحتل مركزًا كبيرًا فى الدولة كيف كانوا يقدمون الكثير من المسلمين والمسيحيين الذين بهم أرواح نجسة للأب الأسقف، فكان يصلى عليهم، ويخرج منهم الأرواح الشريرة. كما روى شفاء عمته التى كانت بها أرواح شريرة(١).

حدث أن رجلاً يدعى عبد المسيح به روح نجس أتعب القديس فى إخراجه، فكان يصرخ ويزعج جيران المطرانية. أشار بإحضاره يوم الأحد أثناء القداس. وإذ بدأ الكاهن يصلى "الرشومات" وعند قوله "أخذ خبزًا على يديه الطاهرتين... " وإذ به يهيج بشدة، حتى إضطر الأسقف أن يخرج من الهيكل ويأمره: "بإسم يسوع المسيح الناصرى المصلوب قف ولا تتحرك". فصمت الرجل حتى نهاية القداس. استدعاه فى دار المطرانية، ثم قال له وهو هادئ: "باسم يسوع المسيح تحضر"، فهاج الرجل جدًا. ثم قال له الأسقف: لماذا صنعت هذا الهياج بالكنيسة؟ أجابه: "أنت تضعنى فى النار ولا اصرخ؟! نار من السماء خرجت من المائدة الموضوعة واقتربت منى لتحرقنى". عندئذ إنتهره القديس، فخرج من الرجل وصار معافى(٢).

ويذكر الأستاذ منصور جرجس كيف كانوا يصلون "كيرياليسون كيرياليسون" والأسقف يصلى على رأس المريض مسعد من إخميم، حيث إرتعد المريض فى بداية الصلاة وهو يقول: "لا إنت ولا عشرة زيك يطلعونى!"

الأسقف: الرب يضطهدك! أخرج منه!

الروح النجس: أنا عارف إنت لسه عايش ليه؟!

الأسقف: أنا قاعد على قلبك... إنت إسمك إيه؟

الروح النجس: إسمى الأسقف أبرآم.

الأسقف: الرب يزجرك، إنتم الشياطين فيكم أساقفة؟!

ثم وضع الأسقف الصليب عليه، فصرخ الروح النجس "النار! النار! سأخرج!"، وخرج.

ويذكر القمص فيلبس المقارى أنه فى سنة ١٩٠٦ رأى الأب الأسقف ُيخرج شيطانًا، وفى أثناء الصلاة بكى الشيطان، وقال مخادعًا: "إعفِ عنى وإتركنى. أنا اسمى جرجس، وابن المعمودية، وعمرى سبعة أيام".وإذ لم يعبأ به القديس بل استمر فى الصلاة، قال له: "لولا الصليب النارى الذى بيدك لفتكت بك كما تفتك بنا!" ثم صرخ المريض صرخة قوية وخرج الشيطان...

٢. مكتبة المحبة: المطوب الذكر أنبا أبرآم. 1. Leeder, p. 286-9.

إنتقاله

نقل لنا الأب ميخائيل سعد صورة مبسطة للحظات الأخيرة لأبينا الأنبا أبرآم **على هذه الأرض وما بعد انتقاله كما سمعها من معاصرين أحباء إلى يومنا هذا.**

قالت السيدة حرم المرحوم نصيف محروس أنه قبيل نياحته استدعى القمص عبد السيد وبعض الشمامسة وطلب منهم ان يصلوا المزامير خارج باب غرفته وألاّ يفتحوا الباب قبل نصف ساعة... وإذ فتحوا الباب وجدوه قد تنيح!

وذكر العم مقار البرنشاوى أن الأستاذ سليم صائب حكمدار الفيوم، نادى زوجته، وقال لها: "آه! يظهر أن أسقف النصارى مات... أنظرى الخيول وركابها المحيطين به، وهم يصرخون إكئواب إكئواب..."، ثم قام لوقته وقابل والد العم مقار وسأله عن كلمة "إكئواب"، فأوضح له أنها تعنى "قدوس"، وهى تسبحة السمائيين.

وإذ جاءت لحظات الوداع الأخير، خرجت الفيوم بأسرها تبكيه، كما وفد إليها الكثير من كل أنحاء القطر.

رحل الأب من هذا العالم، لكنه لم يرحل عن الكنيسة، إذ لم يتوقف حبه ولا ُشلَّت حركته، بل هو الآن بقلب متسع يصلى عنا فى الفردوس.

أما عن تركَتِهِ فهى:

١. من الجانب المادى ترك مرتبة بسيطة، ووسادة، ولحاف، و"دِكّة" خشب، وسرير صغير، وغرفة جلوس مكونة من عدة كراسى قديمة وكنبة، وغرفة للغرباء.

٢. ترك فى خزانته كشوفات بمصاريف شهرية تقدم للعائلات.

٣. ترك لنا حياته كنزًا أثمن من كل ما فى الحياة!

مع الأميرالاى

ُقدم "أميرالاى" يعمل بمديرية الفيوم للمحاكمة العسكرية، وإذ ارتبك جدًا توجه إلى القديس يطلب صلواته. وقبل أن يفاتحه فى الأمر قال له القديس: "لا تخف فإن الأمر بسيط لا يتعدى نقلك فقط". وقد تحقق ذلك، فإعتاد أن يأتيه سنويًا ويقدم له خمسة جنيهات كتقدمة للفقراء.

وفى إحدى السنوات جاء كعادته وسأل البواب: "أين هو الأنبا أبرآم؟" فأجابه إنه بدير العزب. ذهب إلى دير العزب وهناك سأل الخفير: "أين الأنبا أبرآم؟" أجابه "بالداخل".

وفعلاً دخل وإذا به يجده واقفًا، كأنه ينتظره. فقدم له العشرة جنيهات قيمة نذر سنتين. فأجابه: "إعطِ هذا المبلغ للواقف عند الباب". فخرج الأميرالاى يقول للخفير: "إن أنبا أبرآم قد رفض أن يقبل المبلغ على غير عادته، وكلفنى أن أسلمه لك". دُهش الخفير وخنقته العبرات، قائلا: "أين الأنبا أبرآم يا بيه؟ تعيش أنت! لقد مات! والمكان الذى كنت فيه هو

مقبرته!" ازدادت دهشة الأميرالاى، وقال للخفير: "كيف تقول إنه مات، وأنا رأيته بنفسه وكنت أتحدث معه الآن". وإذ دخل الإثنان إلى المكان الأول لم يجداه!

وتكرر نفس الأمر مع عائلة من أسيوط جاءت تطلب بركة، فظهر لهم، ولما أرادوا أن يقدموا له نقودًا أجابهم: "أنا فى غنى عن هذا، لكن يوجد بجوار دار المطرانية عائلات أحنى عليها الدهر"، ثم ذكر لهم أسماء عائلات محتاجة يقدمون لهم المعونة.

نور فوق القبر

بينما كان أحد البنائين يعمل فى المقبرة غربت الشمس ولم يتم العمل، فطلب نورًا، وإذ به يجد شبه حمامة من النور تضىء له حتى أكمل مقبرة القديس.

توبة ممرض

ذكرت مكتبة المحبة أنه لما أصدرت تقويمها السنوى تحمل صورة القديس سنة ١٩٥٧ أن ممرضًا فى القاهرة كان يزور بيوت بعض المسيحيين ليعطيهم "إبرًا"، فتهكم لما رأى انتشار هذه الصورة، قائلاً: "من هو هذا القسيس صاحب الوجه الأسود المقبض الذى كلما دخلت بيتًا وجدت صورته فيه؟"

وفى الليل استيقظ على صوت شخص يناديه: "ألا تعجبك صورتى؟" تكرر ذلك مرات، وإذا برجليه قد ثقلتا وتوقفتا عن الحركة، فبكى وانتحب... وفى اليوم التالى، ظهر له وأخبره أن الرب قد صفح عنه ثم إختفى عنه، فقام فرحًا، متهللاً. وكان يشترى التقويم ويقوم بتوزيعه بنفسه.

✞ ✞ ✞

تاريخ حياته فى سطور

موجز لحياته(١)

- ✞ فى عام ١٥٤٥ قبطية الموافق ١٨٢٩م وفى قرية "جالاد" التى تبعد حوالى ٢٧ كم جنوب غربى ملوى التابعة لإيبارشية ديروط ولد الطفل بولس غبريال من أبوين تقيين محبين لله.
- ✞ أُرسل إلى "الكُتّاب" أى مدرسة الكنيسة، تحت إشراف المعلم روفائيل، ليتعلم القراءة والكتابة والحساب ويدرس الكتاب المقدس ويحفظ المزامير والألحان الكنسية ويتعلم التسبحة. وقد أظهر بولس نبوغًا وإشتياقًا للعلم مع أدب وإتضاع.
- ✞ فى الثامنة من عمره مرضت والدته مرضًا شديدًا، ولم تمر أسابيع إلا وإنتقلت إلى السيد المسيح تاركة طفلها الوحيد مع أبيه... لكن الطفل الذى أحب الصلاة وحفظ المزامير وجد فى إلهه ما يشبع عواطفه ويروى كل جوانب قلبه.
- ✞ فى الخامسة عشرة من عمره لمع بين الشباب، فزكّاه الكهنة لدى الأنبا يوساب أسقف الإيبارشية الذى رسمه شماسًا عند زيارته كنيسة القرية.
- ✞ أحب بولس حياة الخلوة مع الله فدخل دير السيدة العذراء "المحرق" بأسيوط فى أيام القمص عبد الملك رئيس الدير. إتسم بالهدوء مع العمل المستمر، وأحبه الرهبان فزكوه، وُرسم راهبًا فى التاسعة عشرة من عمره سنة ١٥٦٤ قبطية، ١٨٤٨م بإسم الراهب بولس المحرقى.

✞ إتسم الراهب بولس بإتجاهين بارزين:

١. حِلمه وضبط نفسه.

٢. حبه العجيب للعطاء.

سمع عنه الأنبا ياكوبوس أسقف المنيا الذى استدعاه وابقاه فى المطرانية، فحوَّل المطرانية إلى مأوى للفقراء.

✞ تغلب فى نفسه حنينه للخلوة، فإستأذن الأب الأسقف فى العودة إلى ديره بعدما قضى أربعة سنوات فى المطرانية، فرسمه الأسقف قسًا وسمح له بالرجوع عام ١٨٦٤م.

✞ كان فى ذلك الوقت توجد بعض خلافات بخصوص القمص عبد الملك رئيس الدير، لكن القس بولس لم يتدخل فى هذا الأمر.

اختاره الرهبان رئيسًا عليهم، ففتح الأب بولس أبواب الدير لكل فقير ومحتاج، كما سمع عنه الشباب فجاءوا إليه يتتلمذون على يديه، وقد بلغ عددهم فى فترة قصيرة أربعين راهبًا نذكر منهم:

المتنيح الأنبا مرقس مطران إسنا والأقصر

ولد ببلدة تاسا مديرية أسيوط سنة ١٥٦٥ ش و١٨٤٨م، وترهب سنة ١٥٨٦ بدير المحرق، متتلمذًا على يدى القمص بولس رئيس الدير.

إنتدبه الباب كيرلس الخامس ١٥٩٢ش ليعلم الرهبان الناشئين بدير البرموس، وبهذا إلتقى بأبيه الروحى القمص بولس مرة ثانية بعد غيبة دامت خمس سنوات وإستمر معه حتى عام ١٥٩٥ق حيث رسم أسقفًا على كرسى إسنا والأقصر. لايزال شعب إسنا يحكى الكثير عن سيرة هذا القديس من جهة نسكه وتقشفه وحبه للصلاة والعبادة وإتضاعه وإهتمامه بكل إنسان وإهتمامه ببناء الكنائس.

المتنيح القمص ميخائيل البحيرى

تتلمذ على يدىّ القديس، وسلك على منواله. كتب الأنبا لوكاس مطران منفلوط سيرته تحت عنوان: "بلوغ المرام فى تاريخ حياة الأنبا أبرآم".

المتنيح الأنبا متاؤس مطران أثيوبيا

✞ هاج عدو الخير كعادته لما رأى الدير مفتوحًا للفقراء، والشبان ملتهبين بالحب والعبادة فأثار الرهبان ضده قائلين: "ما هذا الإتلاف؟" وفى سنة ١٥٨٦ قبطية ُعزل القمص بولس من الرئاسة بعد خمس سنوات.

فذهب مع أربعة من تلاميذه إلى القاهرة حيث إلتقوا بالأنبا مرقس مطران البحيرة وقائمقام البطريرك، وإتفقوا معه على الذهاب إلى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون، وهناك أقاموا مدة وجيزة. توجهوا بعدها إلى دير البراموس سنة ١٥٨٧ق وكان رئيسه فى ذلك الوقت القمص يوحنا الناسخ الذى صار فيما بعد البابا كيرلس... وقد قابلهم بحفاوة وأعطاهم قلالى للسكنى.

تفرغ الأب وتلاميذه للعبادة والقراءة... لكن محبته للفقراء لم تنته، إذ أحب العربان الذين حول الدير، وكان يقاسمهم ثيابه.

✞ فى عام ١٥٩٧ق، ١٨٨١م طلب إمبراطور أثيوبيا يوحنا كاسا من البابا كيرلس الخامس رسامة مطران وثلاثة أساقفة، فوقع الإختيار على الآباء الأربعة المرافقين للقمص بولس وهم:

القمص إقلاديوس الميرى الذى رسم مطرانًا على العاصمة بإسم الأنبا بطرس،

والقمص إقلاديوس الخالدى المحرقى ُرسم أسقفًا على أديس أبابا بإسم الأنبا متاؤس،

والقمص سليمان الدلجاوى المحرقى بإسم الأنبا لوكاس أسقف أكسوم،

والقمص ميخائيل المصرى المحرقى بإسم الأنبا مرقس قودجوم.

وفى نفس الوقت تنيح الأنبا إيساك مطران بنى سويف والفيوم والجيزة فعرض الآباء الأربعة على غبطة البابا أن ُيرسم أباهم الأسقف على الفيوم والجيزة... فوافق البابا وزكّاه الشعب كله، إذ فرحت الفيوم كلها فى أبيب ١٩٥٧ق، ١٨٨١م برسامة أبيهم الأنبا أبرآم.

✞ فى عهده صارت مطرانية الفيوم كرمة عظيمة يشتهى أن يستظل تحتها الفقراء والأغنياء.

عندما زار الخديوى توفيق باشا الفيوم، وُعملت له وليمة ذهب إليها الأنبا أبرآم مرتجلاً، وجلس بالقرب من الوالى ولم يأكل سوى "سلاطة"، وعندما سأله الوالى عن السبب أفهمه أن يوم الجمعة صوم فى الكنيسة. فأمر الوالى أن يحضروا إليه فاكهة، وعرض عليه الخديوى أن يراه مرة ثانية، وفعلاً توجه الأسقف إلى المحطة قبيل سفره، فرحب الوالى به جدًا، وشدّ على يديه بحرارة وقال له: "إنت رجل مبروك".

كان الحكام والمديرون... حتى القساة يجدون راحتهم لديه، فصارت المطرانية مع بساطتها مركز راحة لهم.

اشتم المندوب السامى البريطانى فيه رائحة المسيح فطلب مقابلته، وقد خجل مدير الإقليم وباقى المسئولين والأعيان لرداءة أثاث المطرانية ومبانيها، لكن ركوع المندوب فى خشوع أمام الأب وتقبيل يديه والصليب الذى معه بمهابة أدهشهم جميعًا.

✞ يذكر السيد/ واصف بقطر بشارة من أعيان قنا: نحو سنة ١٨٩٨م ُنقل محمد بك نوحى مدير الفيوم إلى قنا، وأقيم له بقنا حفل ترحيب، وكنت أحد المدعوين وأذكر أن الحديث الأول الذى سيطر على الوليمة عن حياة القديس الأنبا أبرآم وآياته وفضائله، وكان المدير متأثرًا بما يقول.

✞ فى عام ١٩٠٢م قام برحلة مع تلميذه الأنبا متاؤس، زار فيها بلاد الوجه القبلى حتى الأقصر، وعند عودته خرج مدير الفيوم والحكمدار ورجال الشرطة والأعيان وكل الشعب... الكل ينتظره بفرح وتهليل على المحطة.

✞ فى سنة ١٨٩٣م أصاب رجله عطبًا وقرر الأطباء بترها فلما نوّه أحد أبنائه بذلك إبتسم كعادته، قائلاً: "الله لا يرضى وأنا مطمئن أن الله سيخيب ظنهم". وبعد شهرين ُشفى تمامًا، وذهب إلى الكنيسة يرفع قرابين الشكر لله، فإكتظت المطرانية بالجماهير تحمل سعف النخل ويلوِّحون بأغصان الزيتون فى صورة مبهجة للغاية.

✞ بعد ما قضى فى الأسقفية ٣٣ عامًا غنية بالشركة العميقة مع الله والعبادة الحقة والخدمة بأمانة للجميع، والتعب المستمر من أجل المحتاجين وإضرام موهبة الشفاء واخراج الشياطين سمحت العناية الإلهية بأن يصيبه مرض يلقيه على الفراش شهرًا، فتهافت الشعب كله يلتمس بركته، خاصة عندما علموا أنه رفض أن ُيستدعى له طبيب، قائلاً: "إنى منطلق إلى السيد المسيح". وفعلاً وبعد غروب شمس الثلاثاء ٢٠ بؤونة سنة ١٦٣٠ش، ٩ يونيو ١٩١٤م انتقل أبونا الطوباوى إلى الفردوس، فأسرع إليه الوافدون من كل القطر يلتمسون بركته. وقد بلغ مشيعيه أكثر من عشرة آلاف نسمة، وقد قدره البعض ب ٢٥ الفًا من المسيحيين والمسلمين.

✞ تاريخ الأنبا أبرآم لم ينتهِ بعد، فلا يزال كل بيت مصرى يروى عنه الكثير والكثير إذ كان بحق رجل الله المحب.

✞ فى ٣ بؤونة ١٨٦٠ش، ١٠ يونية ١٩٦٣م، إحتفلت الكنيسة بذكرى مرور خمسين عامًا على نياحته تحت رعاية أبينا المتنيح البابا كيرلس السادس بالقاعة المرقسية الكبرى، وإشتركت أغلب الكنائس فى كل الكرازة بإحتفالات دينية روحية عميقة.

✞ هذا وقد قرر المجمع المقدس للكرازة المرقسية أن يضاف إسمه مع القديسين فى القداس الإلهى... فإن القلب الذى إتسع لحب الكنيسة كلها لا يكف عن الحب بعدما خلع هذا الجسد الزمنى لكى يلبسه فى يوم الرب جسدًا روحانيًا لا يفنى. بركة أبينا الطوباوى تكون معنا. آمين.

✞ ✞ ✞